تفسير سورة النجم

هى إحدى وستون آية . وقيل : ثنتان وستون آية . وهى مكية جميعها فى قول الجمهور ، وروى عن ابن عباس وعكرمة ، أنها مكية إلا آية منها وهى قوله : ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش** ﴾ الآية . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت سورة النجم بمكة . وأخرج أيضا عن ابن الزبير مثله . وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما ، عن ابن مسعود قال : أوّل سورة أنزلت فيها سجدة ﴿ **والنجم** ﴾ . فسجد رسول اللّه ﷺ وسجد الناس كلهم ، إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه ، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً ، وهو أمية بن خلف[١] . وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: أول سورة استعلن بها النبىّ ﷺ يقرؤها: ﴿ **والنجم** ﴾. وأخرج ابن مردويه ، والبيهقى فى سننه عن ابن عمر قال: صلى بنا رسول اللّه ﷺ فقرأ : ﴿**النجم** ﴾ فسجد بنا فأطال السجود [٢] . وأخرج ابن مردويه ، عن عائشة أن النبى ﷺ قرأ النجم فلما بلغ السجدة سجد فيها . وأخرج الطيالسى وابن أبى شيبة وأحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى والطبرانى وابن مردويه عن زيد بن ثابت رضى اللّه عنه قال : قرأت النجم عند رسول اللّه ﷺ فلم يسجد فيها [٣] . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : كان رسول اللّه ﷺ يسجد فى النجم ، فلما هاجر إلى المدينة تركها . وأخرج أيضا عنه أن رسول اللّه ﷺ لم يسجد فى شىء من المفصل منذ تحوّل إلى المدينة [٤] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ**

---

(١) البخارى فى التفسير (٤٨٦٣) ومسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (٥٧٦/١٠٥) وأبو داود فى الصلاة (١٤٠٦) .

(٢) البيهقى ٢/ ٣١٤ .

(٣) ابن أبى شيبة فى الصلوات ٢/ ٦ وأحمد ٥/ ١٨٣ والبخارى فى سجود القرآن (١٠٧٢) ومسلم فى المساجد (٥٧٧/١٠٦) وأبو داود فى الصلاة (١٤٠٤) والترمذى فى الصلاة (٥٧٦) والنسائى فى الافتتاح ٢/ ١٦٠ والطبرانى (٤٨٢٩) .

(٤) أبو داود فى الصلاة (١٤٠٣) .

﴿ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨) أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣) أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤) فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَىٰ (٢٥) وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ (٢٦) ﴾

قوله : ﴿ **والنجم إذا هوى** ﴾ التعريف للجنس ، والمراد به جنس النجوم ، وبه قال جماعة من المفسرين . ومنه قول عمر بن أبى ربيعة :

أحسن النجم فى السماء الثريا والثريا فى الأرض زين النساء

وقيل : المراد به: الثريا ، وهو اسم غلب فيها ، تقول العرب : النجم ، وتريد به الثريا ، وبه قال مجاهد وغيره، وقال السدّى : النجم هنا :هو الزهرة ؛ لأن قوما من العرب كانوا يعبدونها . وقيل : النجم هنا : النبت الذى لا ساق له ، كما فى قوله : ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ [الرحمن : ٦] قاله الأخفش . وقيل : النجم محمد ﷺ . وقيل : النجم القرآن وسمى نجما لكونه نزل منجما مفرّقا ، والعرب تسمى التفريق تنجيما ، والمفرّق : المنجم ، وبه قال مجاهد والفراء وغيرهما . والأول أولى . قال الحسن : المراد بالنجم : النجوم إذا سقطت يوم القيامة . وقيل : المراد بها : النجوم التى ترجم بها الشياطين ، ومعنى هويه : سقوطه من علو ، يقال : هوى النجم يهوى هويا : إذا سقط من علو إلى سفل ، وقيل : غروبه، وقيل : طلوعه . والأول أولى . وبه قال الأصمعى وغيره ، ومنه قول زهير :

تسبح بها الأباعر وهى تهوى هُوِىَّ الدَّلْوِ أَسْلَمَهَا الرِّشَاءُ (١)

ويقال : هوى فى السير : إذا مضى ، ومنه قول الشاعر :

بَيْنَما نَحْــــنُ بالبَلاكِــــثِ فــالقَــــاعِ سِراعاً والعِيسُ تَهْوِى هُوِيّاً

خَطَرَتْ خَطْرَةٌ على القَلْبِ مِن ذِكْــــرَاكِ وَهْناً فما استطعت مُضيا

ومعنى الهوى على قول من فسّر النجم بالقرآن : أنه نزل من أعلى إلى أسفل ، وأما على قول من قال : إنه الشجر الذى لا ساق له ، أو أنه محمد ﷺ فلا يظهر للهوىّ معنى صحيح ، والعامل فى الظرف فعل القسم المقدّر، وجواب القسم قوله : ﴿ **ما ضل صاحبكم وما غوى** ﴾ أى ما ضل محمد ﷺ عن الحق والهدى ولا عدل عنه ، والغىّ : ضد الرشد ، أى ما صار غاويا ، ولا تكلم بالباطل . وقيل : ما خاب فيما طلب ، والغىُّ : الخيبة ، ومنه قول الشاعر :

---

(١) الرشاء : الحبل ، وجمعه : أرشية.

فمن يلْقَ خيراً يحْمِدِ النَّاسُ أَمْرَهُ ومَنْ يَغْوَ لاَ يعدم على الغَيِّ لائِما

وفى قوله : ﴿ **صاحبكم** ﴾ إشارة بأنهم المطلعون على حقيقة حاله ، والخطاب لقريش ﴿**وما ينطق عن الهوى** ﴾ أى ما يصدر نطقه عن الهوى لا بالقرآن ولا بغيره ، فعن على بابها . وقال أبو عبيدة : إنّ عن بمعنى الباء ، أى بالهوى . قال قتادة : أى ما ينطق بالقراءة عن هواه ﴿**إن هو إلا وحى يوحى**﴾ أى ما هو الذى ينطق به إلا وحى من اللّه يوحيه إليه ، وقوله : ﴿**يوحى**﴾ صفة لوحى تفيد الاستمرار التجددى ، وتفيد نفى المجاز : أى هو وحى حقيقة لا لمجرد التسمية ﴿ **علمه شديد القوى** ﴾ القوى جمع قوة ، والمعنى : أنه علمه جبريل الذى ، هو شديد قواه ، هكذا قال أكثر المفسرين : إن المراد : جبريل . وقال الحسن : هو اللّه عزّ وجلّ . والأول أولى . وهو من باب إضافة الصفة إلى الموصوف ﴿ **ذو مرة فاستوى** ﴾ المرّة : القوّة والشدة فى الخلق . وقيل : ذو صحة جسم وسلامة من الآفات ، ومنه قول النبى ﷺ : « لا تحل الصدقة لغنى ، ولا لذى مرّة سوى » (١) . وقيل : ذو حصافة عقل ومتانة رأى . قال قطرب : العرب تقول لكلّ من هو جزل الرأى ، حصيف العقل : ذو مرّة ، ومنه قول الشاعر:

قد كنت قبلَ لِقائكُمُ ذا مِرّةٍ عندى لِكُلِّ مُخاصِمٍ مِيزانُهُ

والتفسير للمرّة بهذا أولى ؛ لأن القوة والشدة قد أفادها قوله : ﴿ **شديد القوى** ﴾ قال الجوهرى : المرّة إحدى الطبائع الأربع ، والمرّة : القوة وشدة العقل ، والفاء فى قوله : ﴿**فاستوى**﴾ للعطف على علَّمه يعنى جبريل ، أى ارتفع وعاد إلى مكانه فى السماء بعد أن علم محمدًا ﷺ ، قاله سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير . وقيل : معنى استوى قام فى صورته التى خلقه اللّه عليها لأنه كان يأتى النبى ﷺ فى صورة الآدميين . وقيل : المعنى : فاستوى القرآن فى صدره ﷺ . وقال الحسن : فاستوى يعنى اللّه عزّ وجلّ على العرش ﴿ **وهو بالأفق الأعلى** ﴾ هذه الجملة فى محل نصب على الحال ، أى فاستوى جبريل حال كونه بالأفق الأعلى. والمراد بالأفق الأعلى : جانب المشرق ، وهو فوق جانب المغرب . وقيل : المعنى : فاستوى عالياً . والأفق : ناحية السماء ، وجمعه آفاق. قال قتادة ومجاهد : هو الموضع الذى تطلع منه الشمس . وقيل : هو يعنى جبريل والنبى ﷺ بالأفق الأعلى ليلة المعراج ، ويجوز أن تكون هذه الجملة مستأنفة .

﴿ **ثم دنا فتدلى** ﴾ أى دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى ، أى قرب من الأرض ، فتدلى فنزل على النبى ﷺ بالوحى . وقيل : فى الكلام تقديم وتأخير ، والتقدير : ثم تدلى فدنى . قاله ابن الأنبارى وغيره ، قال الزجاج: معنى دنا فتدلى واحد ، أى قرب وزاد فى القرب كما تقول : فدنا منى فلان وقرب ، ولو قلت : قرب منى ودنا جاز. قال الفراء : الفاء فى فتدلى بمعنى الواو ، والتقدير : ثم تدلى جبريل ودنا ، ولكنه جائز إذا كان معنى الفعلين

(١) أبو داود فى الزكاة (١٦٣٤) والترمذى فى الزكاة (٦٥٢) وقال : « حديث حسن » .

واحدا أن تقدّم أيهما شئت. قال الجمهور : والذى دنا فتدلى هو جبريل . وقيل : هو النبى ﷺ . والمعنى : دنا منه أمره وحكمه . والأول أولى. قيل ومن قال : إن الذى استوى هو جبريل ومحمد ، فالمعنى عنده: ثم دنا محمد من ربه دنوّ كرامة فتدلى ، أى هوى للسجود ، وبه قال الضحاك ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ أى فكان مقدار ما بين جبريل ومحمد ﷺ ، أو ما بين محمد وربه قاب قوسين ، أى قدر قوسين عربيين، والقاب والقيب ، والقاد والقيد : المقدار ، ذكر معناه فى الصحاح ، قال الزجاج : أى فيما تقدّرون أنتم ، واللّه سبحانه عالم بمقادير الأشياء ولكنه يخاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة فيما بيننا . وقيل : « أو» بمعنى الواو ، أى وأدنى . وقيل : بمعنى بل ، أى بل أدنى ، وقال سعيد بن جبير وعطاء وأبو إسحاق الهمدانى وأبو وائل شقيق بن سلمة ﴿ **فكان قاب قوسين** ﴾: قدر ذراعين ، والقوس : الذّراع يقاس بها كل شىء ، وهى لغة بعض الحجازيين وقيل : هى لغة أزد شنوءة ، وقال الكسائى : فكان قاب قوسين أراد قوسا واحدة .

﴿ **فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ أى فأوحى جبريل إلى محمد ﷺ ما أوحى ، وفيه تفخيم للوحى الذى أوحى إليه، والوحى : إلقاء الشىء بسرعة ، ومنه الوحا وهو السرعة ، والضمير فى : ﴿ **عبده** ﴾ يرجع إلى اللّه كما فى قوله: ﴿ ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ [فاطر : ٤٥] وقيل : المعنى : فأوحى اللّه إلى عبده جبريل ما أوحى ، وبالأوّل قال الربيع والحسن وابن زيد وقتادة . وقيل : فأوحى اللّه إلى عبده محمد . قيل : وقد أبهم اللّه سبحانه ما أوحاه جبريل إلى محمد ، أوما أوحاه اللّه إلى عبده جبريل أو إلى محمد ولم يبينه لنا ، فليس لنا أن نتعرّض لتفسيره ، وقال سعيد بن جبير : الذى أوحى إليه هو : ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ [الشرح:١] إلخ ، و﴿ ألم يجدك يتيما فآوى ﴾ [الضحى : ٦] إلخ . وقيل : أوحى اللّه إليه أن الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها ، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك . وقيل : إن « ما » للعموم لا للإبهام ، والمراد : كل ما أوحى به إليه ، والحمل على الإبهام أولى لما فيه من التعظيم .

﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ أى ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رآه بصره ليلة المعراج ، يقال: كذبه : إذا قال له الكذب ولم يصدقه ، قال المبرد : معنى الآية : أنه رأى شيئا فصدق فيه. قرأ الجمهور : ﴿ **ما كذب** ﴾ مخففا ، وقرأ هشام وأبو جعفر بالتشديد ، و « ما » فى : ﴿**ما رأى** ﴾ موصولة أو مصدرية فى محل نصب بكذب مخففا ومشدداً ﴿**أفتمارونه على ما يرى**﴾ قرأ الجمهور : ﴿ **أفتمارونه** ﴾ بالألف من المماراة وهى المجادلة والملاحاة ، وقرأ حمزة والكسائى: « أفتمرونه » بفتح التاء وسكون الميم . أى أفتجدونه ، واختار أبو عبيد القراءة الثانية. قال : لأنهم لم يماروه وإنما جحدوه ، يقال : مراه حقه ، أى جحده ، ومريته أنا : جحدته ، قال : ومنه قول الشاعر :

لأن هَجَوْتَ أَخَا صِدْق ومكْرُمَة ... لَقَدْ مَرَيْتَ أَخَا ما كَانَ يَمْريكا

أى جحدته ، قال المبرد : يقال : أمرأه عن حقه وعلى حقه : إذا منعه منه ودفعه . وقيل: على بمعنى عن ، وقرأ ابن مسعود والشعبى ومجاهد والأعرج : « أفتمرونه » بضم التاء من أمريت ، أى أتريبونه وتشكون فيه ، قال جماعة من المفسرين : المعنى على قراءة الجمهور : أفتجادلونه ؛ وذلك أنهم جادلوه حين أسرى به فقالوا : صف لنا مسجد بيت المقدس، أى فتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما شاهده وعلمه ، واللام فى قوله : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى**﴾ هى الموطئة للقسم ، أى واللّه لقد رآه نزلة أخرى ، والنزلة : المرة من النزول ، فانتصابها على الظرفية أو منتصبة على المصدر الواقع موقع الحال ، أى رأى جبريل نازلا نزلة أخرى ، أو على أنه صفة مصدر مؤكد محذوف ، أى رآه رؤية أخرى . قال جمهور المفسرين : المعنى : أنه رأى محمد جبريل مرّة أخرى . وقيل: رأى محمد ربه مرة أخرى بفؤاده ﴿ **عند سدرة المنتهى** ﴾ الظرف منتصب بـ﴿ رآه ﴾ ، والسدر : هو شجرة النبق ، وهذه السدرة هى فى السماء السادسة كما فى الصحيح ، وروى أنها فى السماء السابعة ، والمنتهى : مكان الانتهاء ، أو هو مصدر ميمى ، والمراد به: الانتهاء نفسه ، قيل : إليها ينتهى علم الخلائق ولا يعلم أحد منهم ما وراءها . وقيل : ينتهى إليها ما يعرج به من الأرض . وقيل : تنتهى إليها أرواح الشهداء . وقيل : غير ذلك ، وإضافة الشجرة إلى المنتهى من إضافة الشىء إلى مكانه ﴿ **عندها جنة المأوى**﴾ أى عند تلك السدرة جنة تعرف بجنة المأوى ، وسميت جنة المأوى لأنه أوى إليها آدم . وقيل : إن أرواح المؤمنين تأوى إليها . قرأ الجمهور : ﴿**جنة**﴾ برفع جنة على أنها مبتدأ وخبرها الظرف المتقدم . وقرأ علىّ وأبو الدرداء وأبو هريرة وابن الزبير وأنس، وزر بن حبيش، ومحمد بن كعب ومجاهد وأبو سبرة الجهنى : « جنه» فعلا ماضيا من جنّ يجنّ ، أى ضمه المبيت، أو ستره إيواء اللّه له . قال الأخفش : أدركه كما تقول: جنه الليل ، أى ستره وأدركه ، والجملة فى محل نصب على الحال .

﴿ **إذ يغشى السدرة ما يغشى** ﴾ العامل فى الظرف ﴿ **رآه** ﴾ أيضا وهو ظرف زمان ، والذى قبله ظرف مكان ، والغشيان بمعنى : التغطية والستر ، وبمعنى الإتيان ، يقال : فلان يغشانى كل حين ، أى يأتينى ، وفى الإبهام فى قوله : ﴿ **ما يغشى** ﴾ من التفخيم ما لا يخفى . وقيل: يغشاها جراد من ذهب . وقيل : طوائف من الملائكة ، وقال مجاهد : رفرف أخضر . وقيل : رفرف من طيور خضر . وقيل : غشيها أمر اللّه ، والمجىء بالمضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً للصورة البديعة ، و للدلالة على الاستمرار التجددى .﴿ **ما زاغ البصر** ﴾ أى ما مال بصر النبى ﷺ عما رآه ﴿ **وما طغى**﴾ أى ما جاوز ما رأى . وفى هذا وصف أدب النبى ﷺ فى ذلك المقام حيث لم يلتفت ولم يمل بصره ، ولم يمده إلى غير ما رأى . وقيل: ما جاوز ما أمر به . ﴿ **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾ أى واللّه لقد رأى تلك الليلة من آيات ربه العظام ما لا يحيط به الوصف ، قيل : رأى رفرفا سدّ الأفق . وقيل : رأى جبريل فى حلة خضراء قد ملأ ما بين السماء والأرض له ستمائة جناح ، كذا فى صحيح مسلم وغيره،

وقال الضحاك : رأى سدرة المنتهى . وقيل: هو كل ما رآه تلك الليلة فى مسراه وعوده ، و«من» للتبعيض ومفعول رأى : الكبرى ، ويجوز أن يكون المفعول محذوفا ، أى رأى شيئا عظيما من آيات ربه ، ويجوز أن تكون « من » زائدة .

﴿ **أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى** ﴾ لما قصّ اللّه سبحانه هذه الأقاصيص قال للمشركين ، موبخاً لهم ومقرّعا : ﴿ **أفرأيتم** ﴾ أى أخبرونى عن الآلهة التى تعبدونها من دون اللّه هل لها قدرة توصف بها ، وهل أوحت إليكم شيئا كما أوحى اللّه إلى محمد ، أم هى جمادات لا تعقل ولا تنفع ، ثم ذكر هذه الأصنام الثلاثة التى اشتهرت فى العرب وعظم اعتقادهم فيها ، قال الواحدى وغيره : وكانوا يشتقون لها أسماء من أسماء اللّه تعالى ، فقالوا : من اللّه اللات ، ومن العزيز العزّى وهى تأنيث الأعز بمعنى : العزيزة ، ومناة من منى اللّه الشىء إذا قدّره . قرأ الجمهور : ﴿ **اللات** ﴾ بتخفيف التاء ، فقيل : هو مأخوذ من اسم اللّه سبحانه كما تقدّم . وقيل : أصله : لات يليت ، فالتاء أصلية . وقيل : هى زائدة وأصله : لوى يلوى ، لأنهم كانوا يلوون أعناقهم إليها أو يلتون عليها ويطوفون بها . واختلف القراء هل يوقف بالتاء أو بالهاء ؟ فوقف عليها الجمهور بالتاء ، ووقف عليها الكسائى بالهاء واختار الزجاج والفراء الوقف بالتاء لاتباع رسم المصحف ، فإنها تكتب بالتاء ، وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد ومنصور بن المعتمر وأبو الجوزاء وأبو صالح وحميد : «اللات » بتشديد التاء ، ورويت هذه القراءة عن ابن كثير، فقيل : هو اسم رجل كان يلتّ السويق ويطعمه الحاج ، فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه ، فهو اسم فاعل فى الأصل غلب على هذا الرجل ، قال مجاهد : كان رجلا فى رأس جبل يتخذ من لبنها وسمنها حيسا ويطعم الحاج ، وكان ببطن نخلة ، فلما مات عبدوه . وقال الكلبى : كان رجلا من ثقيف له صرمة غنم . وقيل : إنه عامر بن الظرب العدوانى ، وكان هذا الصنم لثقيف ، وفيه يقول الشاعر :

لاَ تَنْصُرُوا اللاتَ إِنَّ اللَّه مُهْلِكُهاَ وكَيْفَ يَنْصُرُ كُمْ مَنْ ليسَ يَنْتَصِرُ

قال فى الصحاح : و﴿ **اللات** ﴾ اسم صنم لثقيف ، وكان بالطائف وبعض العرب يقف عليها بالتاء ، وبعضهم بالهاء ﴿ **والعزّى** ﴾ : صنم قريش وبنى كنانة ، قال مجاهد : هى شجرة كانت بغطفان ، وكانوا يعبدونها ، فبعث إليها النبى ﷺ خالد بن الوليد فقطعها ، وقيل : كانت شيطانة تأتى ثلاث سمرات ببطن نخلة، وقال سعيد بن جبير العزى : حجر أبيض كانوا يعبدونه ، وقال قتادة : هى بيت كان ببطن نخلة ، ﴿ **ومناة** ﴾ : صنم بنى هلال ، وقال ابن هشام : صنم هذيل وخزاعة ، وقال قتادة : كانت للأنصار . قرأ الجمهور : ﴿ **مناة** ﴾ بألف من دون همزة ، وقرأ ابن كثير وابن محيصن وحميد ومجاهد والسلمى بالمد والهمزة ، فأما قراءة الجمهور فاشتقاقها من منى يمنى ، أى صب ، لأن دماء النسائك كانت تصب عندها

يتقرّبون بذلك إليها ، وأما على القراءة الثانية فاشتقاقها من النوء ، وهو المطر لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء . وقيل : هما لغتان للعرب ، ومما جاء على القراءة الأولى قول جرير :

أزيد مناة توعد يا بن تيم تأمل أين تاه بك الوعيد

ومما جاء على القراءة الأخرى قول الحارثى :

ألا هَلْ أتى التَّيْمَ بن عبد مناءة على السِّر فيما بيننا ابْن تَمِيمِ

وقف جمهور القراء عليها بالتاء اتباعاً لرسم المصحف ، ووقف ابن كثير وابن محيصن عليها بالهاء . قال فى الصحاح : ومناة : اسم صنم كان بين مكة والمدينة ، والهاء للتأنيث ويسكن عليها بالتاء ، وهى لغة . قوله : ﴿**الثالثة الأخرى**﴾ هذا وصف لمناة ، وصفها بأنها ثالثة وبأنها أخرى ، والثالثة لا تكون إلا أخرى .

قال أبو البقاء : فالوصف بالأخرى للتأكيد ، وقد استشكل وصف الثالثة بالأخرى ، والعرب إنما تصف به الثانية . فقال الخليل : إنما قال ذلك لوفاق رؤوس الآى كقوله : ﴿ مآرب أخرى ﴾ [طه : ١٨] وقال الحسين بن الفضل : فيه تقديم وتأخير ، والتقدير : أفرأيتم اللات والعزّى الأخرى ومناة الثالثة ، وقيل : إن وصفها بالأخرى لقصد التعظيم لأنها كانت عند المشركين عظيمة ، وقيل : إن ذلك للتحقير والذم ، وإن المراد المتأخرة الوضيعة كما فى قوله : ﴿قالت أخراهم لأولاهم ﴾ [الأعراف : ٣٨] أى وضعاؤهم لرؤسائهم ، ثم كرر سبحانه توبيخهم وتقريعهم بمقالة شنعاء قالوها فقال : ﴿**ألكم الذكر وله الأنثى**﴾ أى كيف تجعلون لله ما تكرهون من الإناث وتجعلون لأنفسكم ما تحبون من الذكور ، قيل وذلك قولهم : إن الملائكة بنات الله . وقيل : المراد : كيف تجعلون اللات ، والعزّى ، ومناة ، وهى إناث فى زعمكم ، شركاء لله ، ومن شأنهم أن يحتقروا الإناث . ثم ذكر سبحانه أن هذه التسمية والقسمة المفهومة من الاستفهام قسمة جائرة فقال : ﴿ **تلك إذاً قسمة ضيزى** ﴾ قرأ الجمهور : ﴿ **ضيزى** ﴾ بياء ساكنة بغير همزة ، وقرأ ابن كثير بهمزة ساكنة ، والمعنى : أنها قسم خارجة عن الصواب جائرة عن العدل مائلة عن الحق ، قال الأخفش ، يقال : ضاز فى الحكم ، أى جار ، وضازه حقه يضيزه ضيزا ، أى نقصه وبخسه ، قال : وقد يهمز . وأنشد :

فإن تَنْأ عَنَّا نَنْتقِصْكَ وإن تَغِبْ فحقك مضؤوزٌ وَأنفُكَ رَاغِمُ

وقال الكسائى : ضاز يضيز ضيزا ، وضاز يضوز ضوزا : إذا تعدى وظلم وبخس وانتقص . ومنه قول الشاعر :

ضَازَتْ بنو أسدٍ بِحُكمِهِم إذْ يَجْعَلُون الرأسَ كالذَّنَبِ

قال الفراء : وبعض العرب يقول : « ضئزى » بالهمز ، وحكى أبو حاتم عن أبى زيد أنه سمع العرب تهمز ضيزى . قال البغوى : ليس فى كلام العرب فعلى بكسر الفاء فى

النعوت إنما تكون فى الأسماء مثل ذكرى . قال المؤرج : كرهوا ضم الضاد فى ضيزى . وخافوا انقلاب الياء واوا وهى من بنات الواو ، فكسروا الضاد لهذه العلة كما قالوا فى جمع أبيض بيض، وكذا قال الزجاج. وقيل: هى مصدر كذكرى ، فيكون المعنى: قسمة ذات جور وظلم .

ثم رد سبحانه عليهم بقوله : ﴿ **إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم** ﴾ أى ما الأوثان أو الأصنام باعتبار ما تدعونه من كونها آلهة إلا أسماء محضة ، ليس فيها شىء من معنى الألوهية التى تدعونها ، لأنها لا تبصر ولا تسمع ولا تعقل ولا تفهم ولا تضر ولا تنفع ، فليست إلا مجرد أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ، قلد الآخر فيها الأول . وتبع فى ذلك الأبناء الآباء ، وفى هذا من التحقير لشأنها ما لا يخفى ، كما تقول فى تحقير رجل : ما هو إلا اسم إذا لم يكن مشتملا على صفة معتبرة ، ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ وما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها ﴾ [يوسف: ٤٠] سميته زيداً وسميته بزيد ، فقوله : ﴿ **سميتموها** ﴾ صفة لأصنام ، والضمير يرجع إلى الأسماء لا إلى الأصنام ، أى جعلتموها أسماء لا جعلتم لها أسماء . وقيل : إن قوله : ﴿**هى**﴾ راجع إلى الأسماء الثلاثة المذكورة . والأول أولى ﴿ **ما أنزل الله بها من سلطان** ﴾ أى ما أنزل بها من حجة ولا برهان ، قال مقاتل : لم ينزل لنا كتابا لكم فيه حجة كما تقولون إنها آلهة ، ثم أخبر عنهم بقوله : ﴿ **إن يتبعون إلا الظنّ** ﴾ أى ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها إلا الظنّ الذى لا يغنى من الحق شيئا ، والتفت من الخطاب إلى الغيبة إعراضا عنهم وتحقيراً لشأنهم فقال : ﴿ **وما تهوى الأنفس** ﴾ أى تميل إليه وتشتهيه من غير التفات إلى ما هو الحق الذى يجب الاتباع له . قرأ الجمهور :﴿ **يتبعون** ﴾ بالتحتية على الغيبة . وقرأ عيسى بن عمر وأيوب وابن السميقع بالفوقية على الخطاب ، ورويت هذه القراءة عن ابن مسعود وابن عباس وطلحة وابن وثاب ﴿**ولقد جاءهم من ربهم الهدى** ﴾ أى البيان الواضح الظاهر بأنها ليست بآلهة . والجملة فى محل نصب على الحال من فاعل يتبعون ، ويجوز أن يكون اعتراضاً ، والأول أولى . والمعنى : كيف يتبعون ذلك والحال أن قد جاءهم ما فيه هدى لهم من عند الله على لسان رسوله الذى بعثه الله بين ظهرانيهم وجعله من أنفسهم .

﴿ **أم للإنسان ما تمنى** ﴾ «أم » هى المنقطعة المقدّرة ببل والهمزة التى للإنكار ، فأضرب عن اتباعهم الظن الذى هو مجردّ التوهم ، ومن اتباعهم هوى الأنفس وما تميل إليه ، وانتقل إلى إنكار أن يكون لهم ما يتمنون من كون الأصنام تنفعهم وتشفع لهم ، ثم علل انتفاء أن يكون للإنسان ما تمنى بقوله : ﴿ **فلله الآخرة والأولى** ﴾ أى أن أمور الآخرة والدنيا بأسرها لله عزّ وجلّ فليس لهم معه أمر من الأمور ، ومن جملة ذلك أمنياتهم الباطلة وأطماعهم الفارغة . ثم أكد ذلك وزاد فى إبطال ما يتمنونه فقال : ﴿ **وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا**﴾ وكم هنا هى الخبرية المفيدة للتكثير ، ومحلها الرفع على الابتداء ، والجملة بعدها

خبرها، ولما فى ﴿ **كم** ﴾ من معنى التكثير ، جمع الضمير فى شفاعتهم مع إفراد الملك ، والمعنى التوبيخ لهم بما يتمنون ويطمعون فيه من شفاعة الأصنام مع كون الملائكة مع كثرة عبادتها وكرامتها على اللّه لا تشفع إلا لمن أذن أن يشفع له ، فكيف بهذه الجمادات الفاقدة للعقل والفهم وهو معنى قوله : ﴿ **إلا من بعد أن يأذن اللّه** ﴾ لهم بالشفاعة ﴿ **لمن يشاء** ﴾ أن يشفعوا له ﴿**ويرضى** ﴾ بالشفاعة له لكونه من أهل التوحيد ، وليس للمشركين فى ذلك حظّ ولا يأذن اللّه بالشفاعة لهم ولا يرضاها لكونهم ليسوا من المستحقين لها .

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس : ﴿ **والنجم إذا هوى** ﴾ قال : إذا انصبّ . وأخرج ابن المنذر عنه قال : هو الثريا إذا تدلّت . وأخرج عنه أيضا قال : أقسم اللّه أن ما ضلّ محمد ولا غوى . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا فى قوله : ﴿ **ذو مرة** ﴾ قال : ذو خلق حسن . وأخرج أحمد وابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى ، وأبو الشيخ فى العظمة عن ابن مسعود ؛ أن رسول اللّه ﷺ لم ير جبريل فى صورته إلا مرتين ، أما واحدة : فإنه سأله أن يراه فى صورته فأراه صورته فسدّ الأفق ، وأما الثانية : فإنه كان معه حيث صعد ، فذلك قوله : ﴿**وهو بالأفق الأعلى** ﴾ . ﴿**لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾ . قال : خلق جبريل [١] . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عنه أن النبىّ ﷺ قال : « رأيت جبريل عند سدرة المنتهى له ستمائة جناح »وأخرجه أحمد عنه أيضا [٢]. وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس : ﴿**وهو بالأفق الأعلى**﴾ قال: مطلع الشمس . وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ قال: رأى النبى ﷺ جبريل له ستمائة جناح[٣] .وأخرج الفريابى وعبد بن حميد والترمذى ، وصححه وابن جرير وابن المنذر والطبرانى ، وأبو الشيخ فى العظمة ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقى عنه فى قوله: ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ قال : رأى رسول اللّه ﷺ جبريل عليه حُلَّة من رفرف أخضر قد ملأ ما بين السماء والأرض [٤]. وأخرج ابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ثم دنا فتدلى** ﴾ قال : هو محمد ﷺ دنا فتدلى إلى ربه . وأخرج ابن جرير وابن مردويه عنه قال : دنا ربه فتدلى . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ **فكان قاب قوسين**﴾ قال : دنا جبريل منه حتى كان قدر ذراع أو ذراعين . وأخرج الطبرانى، وابن مردويه ، والضياء فى المختارة عن ابن عباس قال : القاب : القيد ، والقوسين : الذراعين . وأخرج ابن المنذر وابن مردويه ،عن أبى سعيد الخدرى قال : لما أسرى بالنبىّ

(١) أحمد ١/ ٤٠٧ والطبرانى (١٠٥٤٧).

(٢) أحمد ١/ ٣٩٨ وابن جرير ٢٧/ ٢٧.

(٣) البخارى فى التفسير (٤٨٥٦، ٤٨٥٧) وفى بدء الخلق (٣٢٣٢) ومسلم فى الإيمان (١٧٤/ ٢٨٠ ـ ٢٨٢) والترمذى فى التفسير (٣٢٧٧) والنسائى فى التفسير (٥٥٤).

(٤) الترمذى فى التفسير (٣٢٨٣) وقال : « حديث حسن صحيح » والنسائى فى التفسير (٥٥١) وابن جرير ٢٧/ ٣٠ والطبرانى (٩٠٥٠) وصححه الحاكم ٢/ ٤٦٨ ، ٤٦٩ على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى .

ﷺ اقترب من ربه . فكان قاب قوسين أو أدنى ، ألم تر إلى القوس ما أقربها من الوتر .

وأخرج النسائى وابن المنذر وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس : ﴿ **فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ قال : عبده محمد ﷺ . وأخرج مسلم والطبرانى وابن مردويه والبيهقى فى الأسماء والصفات ، عنه فى قوله : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ . ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ قال : رأى محمد ربه بقلبه مرتّين [١] . وأخرج نحوه عنه عبد بن حميد ، والترمذى وحسنه ، وابن جرير وابن المنذر والطبرانى وابن مردويه [٢] . وأخرج ابن مردويه عن أنس قال: رأى محمد ربه . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس أن النبى ﷺ رأى ربه بعينه . وأخرج الطبرانى وابن مردويه عنه قال : رأى محمد ربه مرتّين مرة ببصره ومرّة بفؤاده . وأخرج الترمذى وحسنه ، والطبرانى وابن مردويه والبيهقى عنه أيضا قال : لقد رأى النبى ﷺ ربه عزّ وجلّ [٣] . وأخرج النسائى ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه عنه أيضا قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم ، والكلام لموسى ، والرؤية لمحمد ؟ وقد روى نحو هذا عنه من طرق [٤] .

وأخرج مسلم والترمذى وابن مردويه عن أبى ذرّ قال : سألت رسول اللّه ﷺ هل رأيت ربك ؟ قال : « نور أنى أراه ؟» [٥] . وأخرج مسلم وابن مردويه عنه أنه سأل رسول اللّه ﷺ هل رأيت ربك ؟ قال : « رأيت نوراً » [٦] . وأخرج عبد بن حميد والنسائى وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا قال : رأى رسول اللّه ﷺ ربه بقلبه ولم يره ببصره [٧] .

وأخرج مسلم عن أبى هريرة فى قوله : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ قال : جبريل [٨] . وأخرج أحمد ، وعبد بن حميد ومسلم والترمذى وابن المنذر وابن مردويه والبيهقى عن ابن مسعود قال : لما أسرى برسول اللّه ﷺ انتهى إلى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة ينتهى ما يعرج من الأرواح فيقبض منها وإليها وينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها ﴿ **إذ يغشى السدرة ما يغشى** ﴾ قال : فراش من ذهب [٩] . وأخرج أبو الشيخ فى العظمة عن ابن مسعود قال : الجنة فى السماء السابعة العليا ، والنار فى الأرض السابعة السفلى . وأخرج البخارى

---

(١) مسلم فى الإيمان (١٧٦/ ٢٨٥، ٢٨٦) والطبرانى (١٢٩٤١) والبيهقى فى الأسماء والصفات ٢/ ١٨٣ .

(٢) الترمذى فى التفسير (٣٢٧٨) وقال « هذا حديث حسن » وابن جرير ٢٧/ ١٣١ والطبرانى (١٢٩٤١)

(٣) الترمذى فى التفسير (٣٢٨٠) وقال : «هذا حديث حسن » والطبرانى (١٢٤٠٠) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات ٢/ ١٨٩ .

(٤) النسائى فى التفسير (٥٥٩) وإسناده حسن وصححه الحاكم ١/ ٦٥ ، ٢/ ٤٦٩ على شرط البخارى ، ووافقه الذهبى .

(٥) مسلم فى الإيمان (١٧٨/ ٢٩١) والترمذى فى التفسير (٣٢٨٢) وقال : «حديث حسن » .

(٦) مسلم فى الإيمان (١٧٨/ ٢٩٢) .

(٧) النسائى فى التفسير (٥٥٦) .

(٨) مسلم فى الإيمان (١٧٥/ ٢٨٣).

(٩) مسلم فى الإيمان (١٧٣/ ٢٧٩) والترمذى فى التفسير (٣٢٧٦) والنسائى ١/ ٢٢٤ والبيهقى فى الدلائل ٥/ ٤٧٤ .

وغيره عن ابن عباس قال : كان اللات رجلا يلت السويق للحاج . وأخرج الطبرانى وابن مردويه، عنه أن العزى كانت ببطن نخلة ، وأن اللات كانت بالطائف ، وأن مناة كانت بقديد . وأخرج ابن جرير ، عن ابن عباس ﴿ضيزى﴾ قال : جائرة لا حقّ لها .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَىٰ (٢٧) وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ (٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ (٣٢) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ (٣٤) أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧) أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ (٤٢) ﴾

قوله : ﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى ﴾ أى أن هؤلاء الذين لا يؤمنون بالبعث وما بعده من الدار الآخرة وهم الكفار يضمون إلى كفرهم مقالة شنعاء وجهالة جهلاء ، وهى أنهم يسمون الملائكة المنزهين عن كل نقص تسمية الأنثى . وذلك أنهم زعموا أنها بنات الله فجعلوهم إناثا وسموهم بنات ﴿وما لهم به من علم ﴾ هذه الجملة فى محل نصب على الحال ، أى يسمونهم هذه التسمية والحال أنهم غير عالمين بما يقولون ، فإنهم لم يعرفوهم ، ولا شاهدوهم ، ولا بلغ إليهم ذلك من طريق من الطرق التى يخبر المخبرون عنها . بل قالوا ذلك جهلاً وضلالة وجرأة ، وقرئ : « ما لهم بها » أى بالملائكة أو التسمية ﴿ إن يتبعون إلا الظن﴾ أى ما يتبعون فى هذه المقالة إلا مجرّد الظن والتوهم . ثم أخبر سبحانه عن الظنّ وحكمه فقال : ﴿ وإن الظنّ لا يغنى من الحق شيئا ﴾ أى إن جنس الظن لا يغنى من الحق شيئا من الإغناء ، والحقّ هنا : العلم ، وفيه دليل على أن مجردّ الظن لا يقوم مقام العلم وأن الظانّ غير عالم ، وهذا فى الأمور التى يحتاج فيها إلى العلم وهى المسائل العلمية لا فيما يكتفى فيه بالظنّ . وهى المسائل العملية ، وقد قدمنا تحقيق هذا ، ولا بدّ من هذا التخصيص، فإن دلالة العموم ، والقياس، وخبر الواحد ، ونحو ذلك ظنية ، فالعمل بها عمل بالظن . وقد وجب علينا العمل به فى مثل هذه الأمور ، فكانت أدلة وجوبه العمل به فيها

مخصصة لهذا العموم،وما ورد فى معناه من الذم لمن عمل بالظن والنهى عن اتباعه.

﴿ **فأعرض عمن تولى عن ذكرنا** ﴾ أى أعرض عمن أعرض عن ذكرنا ، والمراد بالذكر هنا: القرآن ، أو ذكر الآخرة، أو ذكر اللّه على العموم ، وقيل : المراد بالذكر هنا : الإيمان ، والمعنى: اترك مجادلتهم فقد بلغت إليهم ما أمرت به ، وليس عليك إلا البلاغ ، وهذا منسوخ بآية السيف ﴿ **ولم يرد إلا الحياة الدنيا** ﴾ التى لم يرد سواها ولا طلب غيرها بل قصر نظره عليها، فإنه غير متأهل للخير ، ولا مستحق للاعتناء بشأنه .ثم صغرسبحانه شأنهم وحقر أمرهم فقال : ﴿**ذلك مبلغهم من العلم** ﴾ أى إن ذلك التولى وقصر الإرادة على الحياة الدنيا هو مبلغهم من العلم ، ليس لهم غيره ولا يلتفتون إلى سواه من أمر الدين . قال الفرّاء : أى ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة . وقيل : الإشارة بقوله : ﴿ **ذلك** ﴾ إلى جعلهم للملائكة بنات اللّه وتسميتهم لهم تسمية الأنثى ، والأول أولى . والمراد بالعلم هنا: مطلق الإدراك الذى يندرج تحته الظنّ الفاسد ، والجملة مستأنفة لتقرير جهلهم واتباعهم مجردّ الظن.وقيل : معترضة بين المعلل والعلة وهى قوله : ﴿ **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى** ﴾ فإن هذا تعليل للأمر بالإعراض ، والمعنى : أنه سبحانه أعلم بمن حاد عن الحق وأعرض عنه ولم يهتد إليه ، وأعلم بمن اهتدى فقبل الحق وأقبل إليه وعمل به ، فهو مجاز كل عامل بعمله ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشرّ . وفيه تسلية لرسول اللّه ﷺ وإرشاد له بأنه لا يتعب نفسه فى دعوة من أصرّ على الضلالة وسبقت له الشقاوة ، فإن اللّه قد علم حال هذا الفريق الضال كما علم حال الفريق الراشد .

ثم أخبر سبحانه عن سعة قدرته وعظيم ملكه فقال : ﴿ **ولله ما فى السموات وما فى الأرض** ﴾ أى هو المالك لذلك ، والمتصرف فيه لا يشاركه فيه أحد ، واللام فى ﴿ **ليجزى الذين أساؤوا بما عملوا** ﴾ متعلقة بما دلّ عليه الكلام ، كأنه قال هو مالك ذلك يضلّ من يشاء ويهدى من يشاء ليجزى المسىء بإساءته والمحسن بإحسانه . وقيل : إن قوله : ﴿**ولله ما فى السموات وما فى والأرض** ﴾ معترضة ، والمعنى : إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ليجزى . وقيل : هى لام العاقبة ، أى وعاقبة أمر الخلق الذين فيهم المحسن والمسىء أن يجزى اللّه كلا منهما بعمله ، وقال مكى : إن اللام متعلقة بقوله : ﴿ **لا تغنى شفاعتهم** ﴾ وهو بعيد من حيث اللفظ ومن حيث المعنى . قرأ الجمهور : ﴿ **ليجزى** ﴾ بالتحتية ، وقرأ زيد بن على بالنون ، ومعنى ﴿ **بالحسنى** ﴾ أى بالمثوبة الحسنى وهى الجنة ، أو بسبب أعمالهم الحسنى.

ثم وصف هؤلاء المحسنين فقال : ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش** ﴾ فهذا الموصول فى محل نصب على أنه نعت للموصول الأولّ فى قوله : ﴿ **الذين أحسنوا** ﴾ وقيل : بدل منه . وقيل : بيان له . وقيل : منصوب على المدح بإضمار أعنى ، أو فى محل رفع على أنه خبر

مبتدأ محذوف ، أى هم الذين يجتنبون كبائر الإثم . قرأ الجمهور : ﴿كبائر﴾ على الجمع ، وقرأ حمزة والكسائى والأعمش ويحيى بن وثاب: « كبير » على الإفراد ، والكبائر : كل ذنب توعد اللّه عليه بالنار ، أو ذمّ فاعله ذما شديدا . ولأهل العلم فى تحقيق الكبائر كلام طويل ، وكما اختلفوا فى تحقيق معناها وماهيتها اختلفوا فى عددها . والفواحش جمع فاحشة : وهى ما فحش من كبائر الذنوب كالزنا ونحوه ، وقال مقاتل : كبائر الإثم : كل ذنب ختم بالنار ، والفواحش: كل ذنب فيه الحد . وقيل : الكبائر : الشرك ، والفواحش : الزنا ، وقد قدمنا فى سورة النساء ما هو أبسط من هذا وأكثر فائدة ، والاستثناء بقوله : ﴿ إلا اللمم ﴾ منقطع ، وأصل اللمم فى اللغة: ما قلّ وصغر ، ومنه ألمّ بالمكان : قلّ لبثه فيه ، وألمّ بالطعام : قل أكله منه ، قال المبرد : أصل اللمم أن تلمّ بالشىء من غير أن تركبه . يقال : ألم بكذا : إذا قاربه ولم يخالطه ، قال الأزهرى : العرب تستعمل الإلمام فى معنى الدنوّ والقرب ، ومنه قول جرير :

بنفسى من تجنبه عزيز عليّ ومن زيارته لمام

وقول الآخر :

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا وناراً تأججا

قال الزجاج : أصل اللمم والإلمام : ما يعمله الإنسان المرة بعد المرة ولا يتعمق فيه ولا يقيم عليه ، يقال : ألممت به : إذا زرته وانصرفت عنه ، ويقال : ما فعلته إلا لماما وإلماما ، أى الحين بعد الحين ، ومنه إلمام الخيال . قال الأعشى:

ألمّ خيال من قبيلة بعدما وهى حبلها من حبلنا فتصرما

قال فى الصحاح : ألمّ الرجل من ألمم وهوصغار الذنوب ، ويقال : هو مقاربة المعصية من غير مواقعة وأنشد غيره :

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب وقلّ أن تملينا فما ملك القلب

وقد اختلفت أقوال أهل العلم فى تفسير هذا اللمم المذكور فى الآية . فالجمهور على أنه صغائر الذنوب . وقيل : هو ما كان دون الزنا من القبلة والغمزة والنظرة ، وبه قال مجاهد والحسن والزهرى وغيرهم ، ومنه :

إن تغفر اللهم تغفر جمًّا وأىّ عبد لك لا ألمّا

اختار هذا القول الزجاج والنحاس . وقيل : هو ذنوب الجاهلية ، فإن اللّه لا يؤاخذ بها فى الإسلام ، وقال نفطويه : هو أن يأتى بذنب لم يكن له بعادة ، قال :والعرب تقول : ما تأتنا إلا إلماما ، أى فى الحين بعد الحين ، قال : ولا يكون أن يلمّ ولا يفعل ، لأن العرب لا

تقول : ألمّ بنا ، إلا إذا فعل ، لا إذا همّ ولم يفعل ، والراجح الأول . وجملة : ﴿ **إن ربك واسع المغفرة** ﴾ تعليل لما تضمنه الاستثناء ، أى إن ذلك وإن خرج عن حكم المؤاخذة فليس يخلو من كونه ذنبا يفتقر إلى مغفرة اللّه ، ويحتاج إلى رحمته . وقيل : إنه سبحانه يغفر لمن تاب عن ذنبه . ثم ذكر سبحانه إحاطة علمه بأحوال عباده فقال : ﴿ **هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض** ﴾ أى خلقكم منها فى ضمن خلق أبيكم آدم .وقيل : المراد آدم فإنه خلقه من طين ﴿ **وإذ أنتم أجنة** ﴾ أى هو أعلم بأحوالكم وقت كونكم أجنة ، والأجنة جمع جنين وهو الولد ما دام فى البطن سمى بذلك لاجتنانه ، أى استتاره ولهذا قال : ﴿ **فى بطون أمهاتكم** ﴾ فلا يسمى من خرج عن البطن جنينا ، والجملة مستأنفة لتقرير ما قبلها ﴿ **فلا تزكوا أنفسكم** ﴾ أى لا تمدحوها ولا تبرئوها عن الآثام ولا تثنوا عليها ، فإن ترك تزكية النفس أبعد عن الرياء ، وأقرب إلى الخشوع ، وجملة : ﴿ **هو أعلم بمن اتقى** ﴾ مستأنفة مقررة للنهى ، أى هو أعلم بمن اتقى عقوبة اللّه وأخلص العمل له . قال الحسن : وقد علم سبحانه من كل نفس ما هى عاملة ، وما هى صانعة ، وإلى ما هى صائرة .

ثم لما بين سبحانه جهالة المشركين على العموم خصّ بالذمّ بعضهم فقال : ﴿ **أفرأيت الذى تولى** ﴾ أى تولى عن الخير، وأعرض عن اتباع الحق ﴿ **وأعطى قليلا وأكدى** ﴾ أى أعطى عطاء قليلا ، وأعطى شيئا قليلا وقطع ذلك وأمسك عنه، وأصل أكدى من الكدية وهى الصلابة ، يقال لمن حفر بئرا ثم بلغ فيها إلى حجر لايتهيأ له فيه حفر قد أكدى ، ثم استعملته العرب لمن أعطى فلم يتمّ ، ولمن طلب شيئا فلم يبلغ آخره ، ومنه قول الحطيئة :

فأعْطَى قليلاً ثم أكْدَى عطاؤه ومن يَبْذُلِ المعروفَ فى الناس يحمد

قال الكسائى وأبو زيد : ويقال : كديت أصابعه : إذا محلت من الحفر ، وكدت يده : إذا كلت فلم تعمل شيئا ، وكدت الأرض : إذا قل نباتها ، وأكديت الرجل عن الشىء رددته ، وأكدى الرجل : إذا قلّ خيره . قال الفراء : معنى الآية : أمسك من العطية وقطع . وقال المبرد: منع منعا شديدا ، قال مجاهد وابن زيد ومقاتل : نزلت فى الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول اللّه ﷺ على دينه ، فعيره بعض المشركين فترك ورجع إلى شركه ، قال مقاتل : كان الوليد مدح القرآن ، ثم أمسك عنه فأعطى قليلا من لسانه من الخير ثم قطعه . وقال الضحاك : نزلت فى النضر بن الحارث . وقال محمد بن كعب القرظى : نزلت فى أبى جهل [1] . ﴿ **أعنده علم الغيب فهو يرى** ﴾ الاستفهام للتقريع والتوبيخ ، والمعنى : أعند هذا المكدى علم ما غاب عنه من أمر العذاب ، فهو يعلم ذلك . ﴿ **أم لم ينبأ بما فى صحف موسى.وإبراهيم الذى وفى** ﴾ أى لم يخبر ولم يحدث بما فى صحف موسى ، يعنى : أسفاره ، وهى التوراة ، وبما فى صحف إبراهيم الذى وفى ، أى تمم وأكمل ما أمر به .قال المفسرون : أى بلغ قومه ما أمر به وأداه إليهم . وقيل : بالغ فى الوفاء بما عاهد اللّه عليه.

(١) أسباب النزول للواحدى ص ٢٢٧.

ثم بين سبحانه ما فى صحفهما فقال : ﴿ **ألا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ أى لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى ، ومعناه : لا تؤخذ نفس بذنب غيرها ، وأن هى المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شأن مقدّر ، وخبرها الجملة بعدها ومحل الجملة الجرّ على أنها بدل من صحف موسى وصحف إبراهيم ، أو الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف ، وقد مضى تفسير هذه الآية فى سورة الأنعام ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾ عطف على قوله : ﴿**ألا تزر** ﴾ وهذا أيضا مما فى صحف موسى ، والمعنى : ليس له إلا أجر سعيه وجزاء عمله ولا ينفع أحدا عمل أحد ، وهذا العموم مخصوص بمثل قوله سبحانه : ﴿ ألحقنا بهم ذريتهم ﴾[الطور : ٢١] وبمثل ما ورد فى شفاعة الأنبياء والملائكة للعباد ومشروعية دعاء الأحياء للأموات ونحو ذلك ، ولم يصب من قال : إن هذه الآية منسوخة بمثل هذه الأمور ، فإن الخاص لا ينسخ العام ، بل يخصصه ، فكل ما قام الدليل على أن الإنسان ينتفع به وهو من غير سعيه كان مخصصا لما فى هذه الآية من العموم : ﴿ **وأن سعيه سوف يرى** ﴾ أى يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة . ﴿ **ثم يجزاه** ﴾ أى يجزى الإنسان سعيه ، يقال : جزاه الله بعمله وجزاه على عمله ، فالضمير المرفوع عائد إلى الإنسان ، والمنصوب إلى سعيه . وقيل : إن الضمير المنصوب راجع إلى الجزاء المتأخر وهو قوله: ﴿ **الجزاء الأوفى** ﴾ فيكون الضمير راجعا إلى متأخر عنه هو مفسر له ، ويجوز أن يكون الضمير المنصوب راجعا إلى الجزاء الذى هو مصدر يجزاه ، ويجعل الجزاء الأوفى تفسيرا للجزاء المدلول عليه بالفعل كما فى قوله : ﴿ اعدلوا هو أقرب ﴾[المائدة : ٨] قال الأخفش : يقال : جزيته الجزاء وجزيته بالجزاء سواء لا فرق بينهما . ﴿**وأنّ إلى ربك المنتهى** ﴾ أى المرجع والمصير إليه سبحانه لا إلى غيره فيجازيهم بأعمالهم .

وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش** ﴾ قال : الكبائر : ما سمى الله فيه النار ، والفواحش : ما كان فيه حدّ الدنيا . وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عباس قال : ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبى ﷺ قال : « إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العين : النظر ، وزنا اللسان : النطق ،والنفس تتمنى وتشتهى ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » (١) .

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه ، والبيهقى فى الشعب ، عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ قال : زنا العينين : النظر ، وزنا الشفتين : التقبيل ، وزنا اليدين : البطش ، وزنا الرجلين: المشى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه ، فإن تقدم بفرجه كان زانيا وإلا فهو اللمم . وأخرج مسدد وابن جرير وابن أبى حاتم عن أبى هريرة أنه سئل عن قوله : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ قال هى النظرة والغمزة والقبلة والمباشرة ، فإذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل ، وهو الزنا. وأخرج سعيد بن منصور والترمذى وصححه،

(١) البخارى فى الاستئذان (٦٢٤٣) وفى القدر (٦٦١٢) معلقا ومسلم فى القدر (٢٦٥٧/ ٢٠) وأبو داود فى النكاح (٢١٥٢) والنسائى فى التفسير (٥٦٤).

والبزار وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب ، عن ابن عباس قال فى قوله : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب منها قال : وقال رسول اللّه ﷺ :

«إن تغفر اللهم تغفر جما وأىّ عبد لك لا ألما» (١)

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه فى قوله : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ يقول : إلا ما قد سلف . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة فى قوله : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ قال : اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود ، واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود ، فذلك الإلمام . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن ابن عباس ، قال : اللمم كل شىء بين الحدّين حدّ الدنيا وحدّ الآخرة يكفره الصلاة ، وهو دون كل موجب ، فأما حدّ الدنيا فكل حدّ فرض اللّه عقوبته فى الدنيا ، وأما حدّ الآخرة فكلّ شىء ختمه اللّه بالنار وأخر عقوبته إلى الآخرة . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه ، وأبو نعيم فى المعرفة عن ثابت بن الحارث الأنصارى قال : كانت اليهود إذا هلك لهم صبى صغير قالوا : هو صدّيق . فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال : « كذبت يهود ما من نسمة يخلقها فى بطن أمها إلا أنه شقى وسعيد » ، فأنزل اللّه عند ذلك : ﴿ **هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض** ﴾ الآية كلها (٢) .

وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود عن زينب بنت أبى سلمة أنها سميت برّة فقال رسول اللّه ﷺ : « لا تزكوا أنفسكم اللّه أعلم بأهل البرّ منكم ، سموها زينب » (٣) . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وأعطى قليلا وأكدى** ﴾ قال : قطع . نزلت فى العاص بن وائل . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه قال : أطاع قليلا ثم انقطع .

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم ، وابن مردويه ، والشيرازى فى الألقاب ، والديلمى قال السيوطى : بسند ضعيف ، عن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال : « أتدرون ما قوله : ﴿**وإبراهيم الذى وفى**﴾؟ » قالوا : اللّه ورسوله أعلم ، قال : « وفّى عمل يومه بأربع ركعات كان يصليهنّ وزعم أنها صلاة الضحى » وفى إسناده جعفر بن الزبير ، وهو ضعيف (٤) . وأخرج الحاكم وصححه ، وابن مردويه عن ابن عباس قال : مبهام

(١) الترمذى فى التفسير (٣٢٨٤) وقال « هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق » وابن جرير ٢٧/ ٣٩ وصححه الحاكم ٢/ ٤٦٩ على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الشعب (٧٠٥٥، ٧٠٥٦) .ط . دار الكتب العلمية .

وقد نسب هذا البيت لأمية بن أبى الصلت فى اللسان ، وفى القرطبى : قاله عند احتضاره وقيل : القائل هو أبو خراشة الهذلى ، قاله وهو يطوف بالبيت ، والواضح أن رسول اللّه ﷺ قد تمثل به .

(٢) الطبرانى (١٣٦٨). (٣) مسلم فى الآداب (٢١٤٢/ ١٩) وأبو داود فى الأدب (٤٩٥٣).

(٤) ابن جرير ٢٧/ ٤٣ والديلمى فى الفردوس (٧١٦٩) .

الإسلام ثلاثون سهما لم يتممها أحد قبل إبراهيم عليه السلام ، قال الله : ﴿**وإبراهيم الذى وفى**﴾ (١) . وأخرج ابن جرير عنه فى الآية قال : يقول إبراهيم الذى استكمل الطاعة فيما فعل بابنه حين رأى الرؤيا ، والذى فى صحف موسى: ﴿ **ألا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ إلى آخر الآية(٢) . وأخرج ابن أبى حاتم عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذى وفى ؟ أنه كان يقول كلما أصبح وأمسى : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾[الروم : ١٧] إلى آخر الآية . وفى إسناده ابن لهيعة (٣) . وأخرج عبد بن حميد ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ **والنجم** ﴾ فبلغ : ﴿ **وإبراهيم الذى وفى** ﴾ قال : وفّى : ﴿ **ألا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ إلى قوله : ﴿ **من النذر الأولى** ﴾ (٤) .

وأخرج أبو داود والنحاس كلاهما فى الناسخ ، وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عنه قال: ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾ فأنزل الله بعد ذلك : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم﴾[الطور : ٢١] فأدخل الله الأبناء الجنة بصلاح الآباء (٥) .وأخرج ابن مردويه عنه أيضا قال : كان رسول الله ﷺ إذا قرأ : ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى** ﴾ استرجع واستكان . وأخرج الدارقطنى فى الإفراد ، والبغوى فى تفسيره عن أبىّ بن كعب عن النبى ﷺ فى قوله : ﴿ **وأن إلى ربك المنتهى** ﴾ قال : « لا فكرة فى الرب»(٦).

﴿ **وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ (٤٧) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ (٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ (٤٩) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ (٥٢) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ (٥٥) هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ (٥٦) أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (٦٢)** ﴾

قوله : ﴿ **وأنه هو أضحك وأبكى** ﴾ أى هو الخالق لذلك والقاضى بسببه . قال الحسن

---

(١) صححه الحاكم ٢/ ٤٧٠ ووافقه الذهبى . (٢) ابن جرير ٢٧/ ٤٣ .
(٣) الرواية فى ابن جرير ٢٧/ ٤٣ والديلمى فى الفردوس (٧١٧٠).
(٤) صححه الحاكم ٢/ ٤٧٠ ووافقه الذهبى . (٥) الأثر عن ابن جرير ٢٧/ ٤٤ .
(٦) البغوى فى التفسير ٤/ ٢٥٥ .

والكلبى : أضحك أهل الجنة فى الجنة ، وأبكى أهل النار فى النار . وقال الضحاك : أضحك الأرض بالنبات ، وأبكى السماء بالمطر . وقيل : أضحك من شاء بأن سره ، وأبكى من شاء بأن غمه . وقال سهل بن عبد اللّه : أضحك المطيعين بالرحمة ، وأبكى العاصين بالسخط ﴿**وأنه هو أمات وأحيا**﴾ أى قضى أسباب الموت والحياة ، ولا يقدر على ذلك غيره . وقيل : خلق نفس الموت والحياة كما فى قوله : ﴿ خلق الموت والحياة ﴾[الملك : ٢] وقيل : أمات الآباء وأحيا الأبناء . وقيل : أمات فى الدنيا وأحيا للبعث . وقيل : المراد بهما : النوم واليقظة . وقال عطاء : أمات بعدله وأحيا بفضله . وقيل : أمات الكافر وأحيا المؤمن كما فى قوله : ﴿أو من كان ميتا فأحييناه ﴾[الأنعام : ٢٢] .

﴿ **وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى . من نطفة إذا تمنى** ﴾ المراد بالزوجين : الذكر والأنثى من كل حيوان ، ولا يدخل فى ذلك آدم وحواء فإنهما لم يخلقا من النطفة ، والنطفة : الماء القليل ، ومعنى ﴿ **إذا تمنى** ﴾ : إذ تصبّ فى الرحم وتدفق فيه كذا قال الكلبى والضحاك وعطاء ابن أبى رباح وغيرهم ، يقال : منى الرجل وأمنى ، أى صب المنى . وقال أبو عبيدة : ﴿ **إذا تمنى** ﴾ : إذا تقدرّ : يقال : منيت الشىء : إذا قدرته ومنى له ، أى قدر له ومنه قول الشاعر :

حَتَّى تُلاَقى ماَ يُمْنِي لَكَ الَمانِي

والمعنى : أنه يقدّر منها للولد . ﴿ **وأن عليه النشأة الأخرى** ﴾ أى إعادة الأرواح إلى الأجسام عند البعث وفاء بوعده . قرأ الجمهور : ﴿ **النشأة** ﴾ بالقصر بوزن الضربة ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالمدّ بوزن الكفالة ، وهما على القراءتين مصدران . ﴿ **وأنه هو أغنى وأقنى** ﴾ أى أغنى من شاء وأفقر من شاء ، ومثله قوله : ﴿ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾[الرعد : ٢٦] وقوله : ﴿ يقبض ويبسط ﴾[البقرة : ٢٤٥] قاله ابن زيد ، واختاره ابن جرير ، وقال مجاهد وقتاده والحسن : أغنى : موّل ، وأقنى : أخدم . وقيل : معنى أقنى : أعطى القنية ، وهى ما يتأثل من الأموال . وقيل : معنى أقنى: أرضى بما أعطى ، أى أغناه ، ثم رضاه بما أعطاه . قال الجوهرى : قنى الرجل قنى ، مثل غنى غنى ، أى أعطاه ما يقتنى، وأقناه : أرضاه، والقنى : الرضا . قال أبو زيد : تقول العرب : من أعطى مائة من البقر فقد أعطى القنى ، ومن أعطى مائة من الضأن فقد أعطى الغنى ، ومن أعطى مائة من الإبل فقد أعطى المنى. قال الأخفش وابن كيسان : أقنى : أفقر. وهو يؤيد القول الأوّل .﴿ **وأنه هو رب الشعرى** ﴾ هى كوكب خلف الجوزاء كانت خزاعة تعبدها ، والمراد بها: الشعرى التى يقال لها : العبور ، وهى أشد ضياء من الشعرى التى يقال لها :الغميصاء . وإنما ذكر سبحانه أنه ربّ الشعرى مع كونه ربّاً لكل الأشياء للردّ على من كان يعبدها ، وأول من عبدها أبو كبشة ، وكان من أشراف العرب ، وكانت قريش تقول لرسول اللّه ﷺ : ابن أبى كبشة ، تشبيها له

به لمخالفته دينهم كما خالفهم أبو كبشة ، ومن ذلك قول أبى سفيان يوم الفتح : لقد أَمِرَ أَمْرُ ابنِ أبى كبشة .

﴿ **وأنه أهلك عاداً الأولى** ﴾ وصف عادا بالأولى لكونهم كانوا من قبل ثمود . قال ابن زيد: قيل لها : عادا الأولى، لأنهم أول أمة أهلكت بعد نوح . وقال ابن إسحاق : هما عادان، فالأولى أهلكت بالصرصر ، والأخرى أهلكت بالصيحة. وقيل : عاد الأولى : قوم هود وعاد الأخرى :إرم . قرأ الجمهور : ﴿ **عادا الأولى** ﴾ بالتنوين والهمز، وقرأ نافع وابن كثير وابن محيصن بنقل حركة الهمزة على اللام وإدغام التنوين فيها . ﴿ **وثمود فما أبقى** ﴾ أى وأهلك ثمود كما أهلك عادا فما أبقى أحدا من الفريقين ، وثمود هم قوم صالح أهلكوا بالصيحة ، وقد تقدّم الكلام على عاد وثمود فى غير موضع . ﴿**وقوم نوح من قبل** ﴾ أى وأهلك قوم نوح من قبل إهلاك عاد وثمود ﴿ **إنهم كانوا هم أظلم وأطغى** ﴾ أى أظلم من عاد وثمود وأطغى منهم ، أو أظلم وأطغى من جميع الفرق الكفرية ، أو أظلم وأطغى من مشركى العرب، وإنما كانوا كذلك لأنهم عتوا على الله بالمعاصى مع طول مدة دعوة نوح لهم ، كما فى قوله : ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ﴾[العنكبوت : ١٤] ﴿ **والمؤتفكة أهوى** ﴾ الائتفاك : الانقلاب، والمؤتفكة : مدائن قوم لوط ، وسميت المؤتفكة : لأنها انقلبت بهم وصار عاليها سافلها ، تقول: أفكته إذا قلبته ، ومعنى ﴿ **أهوى** ﴾ : أسقط ، أى أهواها جبريل بعد أن رفعها. قال المبرد : جعلها تهوى . ﴿ **فغشاها ما غشى** ﴾ أى ألبسها ما ألبسها من الحجارة التى وقعت عليها ، كما فى قوله : ﴿**فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل** ﴾ [الحجر : ٧٤] وفى هذه العبارة تهويل للأمر الذى غشاها به وتعظيم له . وقيل : إن الضمير راجع إلى جميع الأمم المذكورة ، أى فغشاها من العذاب ما غشى على اختلاف أنواعه .

﴿ **فبأى آلاء ربك تتمارى** ﴾ هذا خطاب للإنسان المكذب ، أى فبأى نعم ربك أيها الإنسان المكذب تشكك وتمترى . وقيل : الخطاب لرسول الله ﷺ تعريضاً لغيره . وقيل : لكلّ من يصلح له ، وإسناد فعل التمارى إلى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه وسمى هذه الأمور المذكورة آلاء ، أى نعما مع كون بعضها نقما لا نعما ، لأنها مشتملة على العبر والمواعظ ، ولكون فيها انتقام من العصاة ، وفى ذلك نصرة للأنبياء والصالحين ، قرأ الجمهور : ﴿ **تتمارى**﴾ من غير إدغام ، وقرأ يعقوب وابن محيصن بإدغام إحدى التاءينِ فى الأخرى . ﴿**هذا نذير من النذر الأولى** ﴾ أى هذا محمد رسول إليكم من الرسل المتقدمين قبله فإنه أنذركم كما أنذروا قومهم . كذا قال ابن جريج ومحمد بن كعب وغيرهما ، وقال قتادة : يريد القرآن ، وأنه أنذر بما أنذرت به الكتب الأولى . وقيل : هذا الذى أخبرنا به من أخبار الأمم تخويف لهذه الأمة من أن ينزل بهم ما نزل بأولئك ، كما قال أبو مالك . وقال أبو صالح : إن الإشارة

بقوله : ﴿ **هذا** ﴾ إلى ما فى صحف موسى وإبراهيم ، والأوّل أولى . ﴿ **أزفت الآزفة** ﴾ أى قربت الساعة ودنت ، سماها آزفة لقرب قيامها ، وقيل : لدنوّها من الناس كما فى قوله : ﴿**اقتربت الساعة** ﴾[القمر : ١] أخبرهم بذلك ليستعدوا لها . قال فى الصحاح : أزفت الآزفة ، يعنى : القيامة وأزف الرجل عجل ، ومنه قول الشاعر :

أزف الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد

﴿ **ليس لها من دون اللّه كاشفة** ﴾ أى ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها إلا اللّه سبحانه . وقيل : كاشفة بمعنى انكشاف ، والهاء فيها كالهاء فى العاقبة والداهية . وقيل :كاشفة بمعنى كاشف ، والهاء للمبالغة كراوية ، والأول أولى ، وكاشفة صفة لموصوف محذوف كما ذكرنا ، والمعنى : أنه لا يقدر على كشفها إذا غشت الخلق بشدائدها وأهوالها أحد غير اللّه . كذا قال عطاء والضحاك وقتادة وغيرهم . ثم وبخهم سبحانه فقال : ﴿ **أفمن هذا الحديث تعجبون**﴾ المراد بالحديث : القرآن ، أى كيف تعجبون منه تكذيبا ﴿ **وتضحكون**﴾ منه استهزاء مع كونه غير محل للتكذيب ولا موضع للاستهزاء ﴿ **ولا تبكون** ﴾ خوفا وانزجارا لما فيه من الوعيد الشديد ، وجملة : ﴿**وأنتم سامدون** ﴾ فى محل نصب على الحال ، ويجوز أن تكون مستأنفة لتقرير ما فيها ، والسمود : الغفلة والسهو عن الشيء ، وقال فى الصحاح : سمد سموداً: رفع رأسه تكبرا ، فهو سامد . قال الشاعر :

سوامد الليل خفاف الأزواد (١)

وقال ابن الأعرابى : السمود : اللهو ، والسامد : اللاهى ، يقال للقينة : أسمدينا ، أى ألهينا بالغناء ، وقال المبرد : سامدون : خامدون ، قال الشاعر :

رمى الحدثان نسوة آل عمرو بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعورهنّ السود بيضا وردّ وجوههنّ البيض سودا

﴿ **فاسجدوا للّه واعبدوا** ﴾ لما وبخ سبحانه المشركين على الاستهزاء بالقرآن والضحك منه والسخرية به وعدم الانتفاع بمواعظه وزواجره أمر عباده المؤمنين بالسجود للّه والعبادة له ، والفاء جواب شرط محذوف ، أى إذا كان الأمر من الكفار كذلك ، فاسجدوا للّه واعبدوا ، فإنه المستحق لذلك منكم ، وقد تقدم فى فاتحة السورة أن النبى ﷺ سجد عند تلاوة هذه الآية ، وسجد معه الكفار ، فيكون المراد بها : سجود التلاوة ، وقيل : سجود الفرض .

وقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وأنه هو أغنى وأقنى** ﴾ قال : أعطى وأرضى . وأخرج ابن جرير عنه : ﴿ **وأنه هو ربّ الشعرى** ﴾ قال : هو الكوكب

---

(١) خفاف الأزواد : أى ليس فى بطونها علف ، وقيل : ليس على ظهورها زاد للراكب .

obeikandl.com

الذى يدعى الشعرى . وأخرج الفاكهى عنه أيضا قال : نزلت هذه الآية فى خزاعة ، وكانوا يعبدون الشعرى ، وهو الكوكب الذى يتبع الجوزاء . وأخرج ابن مردويه عنه أيضا فى قوله : ﴿**هذا نذير من النذر الأولى**﴾ قال : محمد ﷺ . وأخرج ابن جرير عنه أيضا قال : الآزفة من أسماء القيامة . وأخرج ابن أبى شيبة ، وأحمد فى الزهد وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم ، عن صالح أبى الخليل قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **أفمن هذا الحديث تعجبون. وتضحكون ولا تبكون** ﴾ فما ضحك النبى ﷺ بعد ذلك إلا أن يتبسم . ولفظ عبد بن حميد: فما رأى النبىّ ﷺ ضاحكا ولا متبسما حتى ذهب من الدنيا [١] . وأخرج عبد الرزاق والفريابى وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله: ﴿ **سامدون** ﴾ قال : لاهون معرضون عنه . وأخرج الفريابى ، وأبو عبيد فى فضائله ، وعبد بن حميد وابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى سننه عنه : ﴿ **وأنتم سامدون** ﴾ قال : الغناء باليمانية ، كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا . وأخرج الفريابى ، وأبو يعلى وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عنه أيضا فى قوله : ﴿ **سامدون** ﴾ قال : كانوا يمرون على النبىّ ﷺ شامخين ، ألم تر إلى البعير كيف يخطر شامخا [٢] . وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن أبى خالد الوالبى قال : خرج على بن أبى طالب علينا وقد أقيمت الصلاة ونحن قيام ننتظره ليتقدّم فقال : ما لكم سامدون ، لا أنتم فى صلاة ولا أنتم فى جلوس تنتظرون ؟

---

(١) ابن أبى شيبة (١٦٢٠٣).

(٢) أبو يعلى (٢٦٨٥) وابن جرير ٢٧/ ٤٩ وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ١١٩ : « فيه الضحاك بن مزاحم ، وقد وثق ، وفيه ضعف » وأورده ابن حجر فى المطالب العالية (٣٧٥٨) وسكت عنه البوصيرى .